

مَنْ يَحْتَاجُ الكَلِيَّةَ بَعْدَ اليَوْمِ؟

أدار الحوار: بن فلدا فسكي *

ترجمة: فلاح حكمت اسحق

بدأت كاتلين ديلا سكي Kathleen DeLaski حياتها المهنية كمراسلة للشبكات التلفازية تغطي أخبار البيت الأبيض والشؤون الخارجية لشبكة ABC نيوز، ثم عملت كمتحدثة رئيسية باسم وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، وبعدها عملت مديرة تنفيذية لشركة Sallie Mai، ثم أسست مختبر تصميم التعليم المؤثر **Influential Education Design Lab**. أصدرت ديلا سكي مؤخراً كتاباً جديداً عنوانه (من يحتاج الكلية بعد اليوم؟)، وجاء العنوان الثانوي للكتاب كاشفاً لطبيعته (تخيّل مستقبل لن تكون فيه الشهادات العلمية ذات أهمية).

Who Needs College Anymore? Imagining a Future Where Degrees Won't Matter

الكتاب صدر شهر شباط (فبراير) 2025 عن قسم التعليم في دار النشر الخاصة بجامعة هارفرد Harvard Education Press.

أخبرتني ديلاسكي مؤخراً أنّها كانت فيما سبق معضّدة لرؤية (الكليات للجميع College for Everyone)، لكنّها باتت مقتنعة اليوم بأنّ الكلية ليست بالأمر المناسب للجميع، وأنّنا في مسيس الحاجة لتعريف أكثر شمولية واتساعاً في منظوره للكلية فضلاً عن حاجتنا الماسة إلى بدائل أكثر وأفضل لمفهوم "الطلبة المستجدين من الغالبية" الذين لم يف التعليم العالي التقليدي بمتطلباتهم بكيفية مقبولة.

الآتي حوارٌ مع كاترين ديلاسكي، وقد تمّ إخضاع حوارنا لعملية تحريرية مكثّفة ابتغاءً لمزيد من الإختصار والوضوح.

بن فلدافسكي

الحوار



كاتلين ديلاسي

* بن فلدافسكي: كيف حصلت معك الإنتقالة من صحفية ذات شأن وذيوع صيت إلى أن تكوني مديرة تنفيذية في ميدان التقنية، ثم بعدها لأن تصبحي خبيرة معتمدة في سياسات التعليم العالي؟ ما طبيعة الحيز الفاصل بين كل هذه الإنتقالات المهنية؟

- كاتلين ديلاسي: سبق لي أن مررتُ بتجربة جامعية ذات طبيعة نخبوية للغاية، وأراني كنتُ محظوظة إذ حظيتُ بتلك التجربة. لم أفهم أبداً مدى الحظ الطيب الذي خبرتهُ في دراستي الجامعية إلا بعد أن شرعتُ في الإلتقاء بأشخاص لم يحظوا بمثل تجربتي في الكلية. قبلتُ العمل في شركة **Sallie Mai** لأنّهم كانوا يؤسسون مؤسسة جديدة يمكنُ لي فيها أن أكون أيّ شي أحبّه بدلاً من أن يُفرضَ عليّ فرضاً. تلك المؤسسة التي ساهمتُ في تأسيسها من

الصفـر (خط الشـروع) إبتـغت النظر في أمر موضـوعة محدّـدة: كيف نساعد المزيـد من الناس في الوصول إلى التعلـيم العالـي؟ وكيف نساعدهم على تحصيل أعظم فائدة ممكنة من الحقوق الفـدرالية الخاصـة بالتعلـيم العالـي (في الولايات المتحدـة الامريكية، المترجم) التي لا تعرفها معظم العائلات الأمريكية. عملتُ لفترة محدودة بعدها في حركة المدارس المستأجرة. بعدها إجتاحتني عاطفةٌ متفجرةٌ تجاه دعم التعلـيم العالـي جعلتني أعمل لصالح حركة (الجامعة للجميع) و (الجامعة ممكنة) في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

عقب اشتغالي المكثف في دعم التعلـيم العالـي وتوفيره للجميع بدأتُ أختبرُ معضلات هذا النمط من التعلـيم، وقد تجوهرت تلك المعضلات في موضوعتين رئيسيتين. **الموضـوعة الأولى** هي أنّ العديد من الأشخاص ذوي الدخل المنخفض ممّن إلتحقوا بالجامعة كانت مسيرتهم الجامعية صعبة تكتنفها مشاق عسيرة، وقد جاءت الإحصائيات التي كنّا نراها دورياً لتعزّز هذه الفكرة وتؤكد أنّ أداءهم الأكاديمي ليس جيداً بل وحتى لا يقترب من أدنى الحدود المقبولة. إختار ما بين أربعين إلى خمسين بالمائة من الطلاب المتحدّرين من أسرٍ ليست لديها ثقافةٌ تُعلي أهمية التعلـيم الجامعي أن يتركوا الجامعة. هنا شرع الكثير ممّا ممّن يعملون في

حركة (الجامعة للجميع) في مراجعة صارمة لأهدافهم المعلنة وراحوا يتساءلون: "لا بأس حتى الآن. بدلاً من مناداتنا بجعل التعليم العالي في متناول الجميع، أليس من الأفضل أن نفكر في وسائل تجعله أكثر قابلية للتطبيق، وأكثر قدرة على مساعدة الناس في تحقيق المزيد من النجاح بعد انخراطهم في بيئة الكلية بدلاً من شعورهم بالخذلان الكامل؟". بدا لنا على نحو متزايد على مدى العقد الأول من القرن الحادي والعشرين أنّ الكثيرين منا في حركة (الكلية للجميع) سعوا مجتهدين لأن يروا كيف يمكن أن تكون الكلية "خياراً مناسباً" لمن لا يريدون الحصول على شهادة جامعية تتطلب دراسة مكثفة لأربع سنوات لأسباب عديدة منها: أنهم لا يطبقون تحمّل الكلفة أو ليس لهم الوقت الكافي للدراسة، أو لأنّهم يعملون في وظائف حقيقية لكنّهم في حاجة إلى مزيد من التدريب للإرتقاء بوظائفهم الحالية بدلاً من خسارة الجهد والوقت في الدراسة الجامعية. هنا تساءلنا بوضوح: لماذا لا نجعل كليّاتنا مكاناً مناسباً أكثر ليفي بإحتياجات الناس وقدراتهم المختلفة من حيث الوقت والكلفة والتدريب المهني؟

أرى نفسي منقادة للتأكيد بأنني مناصرةٌ دوماً للدراسة في كلية أو جامعة. أيّ شاب بعمر الثامنة عشرة يأتيني طالباً النصّح بشأن سؤاله: "هل يتوجّب عليّ الذهابُ إلى الكلية؟ هل أحتاجُ إليها بعد

اليوم؟" سأقول له على الفور: "بالطبع يتوجب عليك الدراسة في كلية أو جامعة"، لكنني لن أكتفي بهذا الجواب. سأضيف له "أدرُسُ ما لم تكن ثمة مقيدات مالية تعيقك وتشلّ تفكيرك وتجعلك رازحاً تحت عبء الإكتئاب الناجم عن التفكير بالديون الثقيلة التي تنوء بها، وكذلك ما لم تكن تطيق الجلوس في فصل دراسي لمدة أربع سنوات بسبب ضغط الوقت وعملك في مهنة إلى جانب الدراسة. يمكنك دوماً مغادرة الكلية دون الشعور الدرامي بثقل الخسارة".



غلاف الكتاب

* بن فلدافسكي: يؤشّر عنوانُ كتابك نزعة شكوكية عميقة لديك (تجاه التعليم الجامعي. المترجم). كيف تشخصين ما ترينه خطأً في الكلية اليوم؟

- كاتلين ديلاسكي: الكلية لم تُعد تخدم إحتياجات الكثيرين. هذه هي المسألة بأكملها. هناك سببٌ بالتأكيد يجعل 38% فقط من البالغين الأمريكيين يحوزون شهادات جامعية. من جانبي وجدّثني مدفوعة لكتابة كتابي لأنّنا نرسلُ رسائل متناقضة إلى الأسر التي تفكّر بمستقبل أولادها: من جانبٍ نقول لهم أنّ التعليم الجامعي مكلف للغاية، ومن جانبٍ آخر نقول لهم أنّ الشاب في ميسيس الحاجة لشهادة جامعية إذا ما أراد الحصول على وظيفة جيّدة.

* بن فلدافسكي: تصرّحين دوماً أنّ الكلية تفشلُ مع "الغالبية من المتعلّمين الجدد" من خريجي الدراسة ما قبل الجامعية. مَنْ هؤلاء؟ ولماذا تفشل الكلية معهم؟

- كاتلين ديلاسكي: هؤلاء هم غالبية الأمريكيين الذين لم يتمّ تصميم الكلية في الأصل للإيفاء بمتطلباتهم. اليوم لو كنت شخصاً ذا دخل منخفض، ولو توجّب عليك العملُ أثناء الدراسة الجامعية، أو لو كنت أماً عزباء، أو مصاباً بإضطراب عصبي، أو أحد المحاربين القدماء، أو أكبر سنّاً من رفقاءك في الكلية، فإنّك حينها ستكون أحد الذين لم يتمّ تصميم الكلية لتفي بإحتياجاتهم، أو لنقلُ بشكل أكثر دقّة ووضوحاً: لم يتمّ تصميم الكلية للملائمة بين

احتياجاتهم المعيشية ومتطلباتهم الدراسية. هذا هو السبب الذي جعلنا نرى كثيرين من الشباب يُخْجَمون عن الذهاب إلى الكلية، أو قد يذهبون ويفشلون.

* بن فلدا فسكي: أحد الحلول التي تقترحينها هو "المقاربة التعليمية عبر منهج السِّلْم المرن".

- كاتلين ديلاسكي: هذا مفهوم يقوم على فكرة أنّ المتعلّمين يمكنهم الدخولُ إلى الكلية ومغادرتها تأسيساً على مقدرتهم في تحصيل عوائد مالية من عملهم أثناء الدراسة. شرعت **كليات المجتمع Community Colleges** في إعتماد مسارات صغيرة بدلاً من السنوات الطويلة للدراسة: دعنا نقل ستّة أشهر من فترة تدريبية لمنهج مغطّى بإئتمان مالي. دعني أقدم مثلاً: يتعاقد أحد أصحاب الأعمال مع إدارة كلية مجتمع ويعرض عليهم العرض التالي: "لو درّستم مثل هذه الأشياء التي تفيدني في عمل شركتي فسوف أوظّفُ البعض منهم في الشركة". الأمر الجميل في مقاربة "المسارات الصغيرة" في التعليم العالي هو كونها مكّدة بالعثرات في مسار الحصول على شهادة علمية. أعرف حالة إحدى الشابات التي درست منهاجاً معيناً بدوام كامل، وقد

حصلت على وظيفة إلى جانب دراستها، وعندما أكملت متطلبات دراستها شرعت في دراسة ثانية، كلّ هذا وهي لم تنقطع عن العمل. كلّ ما تطلّبه الأمر هو العمل بدوام جزئي بدلاً من دوام كلي، وهذا أمر يمكن الإيفاء به لدى شركات كثيرة.

ليس الأمر مقتصرًا على كليات المجتمع، إذ حتى في عالم التعليم العالي الأكثر نخبوية من كليات المجتمع ترى مثل هذه المقاربات التعليمية. على سبيل المثال تطبق جامعة نورث إيسترن **Northeastern** نموذج التعاون هذا بين الأكاديميا والشركات، حيث يمكن للطالب الجامعي أن يتلقّى دروسه الجامعية ثم يمضي للعمل في شركة. هذا هو السبب -كما أظنّ- لأن تكون نسبة توظيف خريجهم تتجاوز التسعين بالمائة.

في عالم التعليم العالي الأكثر نخبوية، تطبق جامعة نورث إيسترن نموذج التعاون، حيث تأتي وتتلقى الدروس وتذهب إلى وظيفتك ثم تعود. بعد التخرج قد تصل معدلات التوظيف لديهم إلى التسعين بالمائة بحلول النهاية. أود أن أسمى ذلك نهج السلم المتدرج. هذا هو بالضبط ما أعنيه بعبارة "مقاربة السلم المتدرج

"Stepladder Approach".

* بن فلدافسكي: لاحظتُ أنّك لخمسٍ وعشرين سنة كنتِ تدافعين عن منهج مقارنة السّلم المرن في التعليم العالي. لكنّي قرأت في كتابك أيضاً تساؤلاً جوهرياً: هل يمكن إنقاذ الشهادة العلمية التي تستلزم سنواتٍ أربعا؟ وكان جوابك: لا أظنّ بالنسبة لمعظم المتعلّمين. هل ترين مقارنة السّلم المرن هي الاستراتيجية الرئيسية التي يتوجّب اعتمادها في التعليم الجامعي؟

- كاتلين ديلاسكي: الشيء الأهمّ الذي يجب أن نعتّمه في التعليم الجامعي هو الإرتقاء بمستوى المسارات المختلفة في السّلم التعليمي: التدريب المهني، الشهادات التدريبية الصناعية، برامج الشهادات قصيرة الأجل. السؤال الملحّ هو: لماذا لا تستطيع الكليات بمفردها تبني مثل هذه النماذج التعليمية وتطويرها بنفسها؟

* بن فلدافسكي: لدينا اليوم عدد قياسي من الأمريكيين الحاصلين على شهادات جامعية. ما يقربُ من 38% منهم حصلوا على شهادات البكالوريوس، و 10% منهم حصلوا على شهادات كليات المجتمع. أظهرت إحصائيات حديثة أنّ أكثر من

50% من الأمريكيين حصلوا على شهادات ذات قيمة مهنية، لكن لم تزل الفجوة واسعة بين دخول الأفراد الحاصلين على دبلوم المدرسة الثانوية فقط وهؤلاء الذين حصلوا على شهادات جامعية. ألا ترين أنّ الأدلة تشير إلى وجوب إستمرارنا في محاولة تحسين فرص الإلتحاق بالتعليم الأكاديمي الجامعي وإكماله؟ لماذا تسعين للتخلي عن شيء أثبتت فعاليته المختبرة كإستراتيجية للنجاح؟

- كاتلين ديلاسكي: ولكن لماذا تراه إستسلاماً وانهزاماً إذا ما فكرنا في التخلي عن التصريح المستديم بوجوب توسيع تعريف الكلية مع توفير ذات الهياكل التمويلية لها؟ هذا ما أراه تناقضاً كبيراً وتبديداً لموارد وجهود عظيمة. فكّر في هذا الأمر: يمكنك الذهاب إلى الكلية وأنت في سن الثامنة عشرة ربما دون أن تعرف بالضبط ما ستدرسه، ومع هذا ستحصل على تمويل من الحكومة الفدرالية، في حين أنّ الأم العزباء التي ترغب في الإلتحاق ببرنامج تدريبي أو تعليمي قصير يجب أن تتحمّل لوحدها تكاليفه كاملاً؟ هذا هو جوهر المعضلة في التعليم العالي: نحن نتمسك بالكلية والتعليم العالي حتى لو كان على حساب مصلحة كثرة من الآخرين سوانا.

ثمّة أمرٌ آخر يجب إيلاؤه أعظم الإنتباه: مع تعاظم قدرات الذكاء الإصطناعي في مقابل تآكل أهمية المهارات المتقدمة، بات أصحاب الأعمال يطلبون منك مهارات لم تدرسها بالضرورة في الكلية، أو درستها على نحو لا يفي بمتطلبات العمل لديهم. كل هذه الأشياء تدفعني إلى التساؤل عن جدوى العوائد من الإستثمار في التعليم العالي بشكله المعروف في وقتنا الحاضر.

يجب أن تكون الكلية مكاناً أفضل لتحقيق العوائد المالية بالمقارنة مع تكاليفها المتضخّمة. عندما تحدثُ جيل الألفية الذي دخل سوق العمل في العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين فإنّهم يشعرون بطعم المرارة القاسية بشأن الوظائف التي يمكنهم الحصول عليها ويمكنها الإيفاء بأعباء قروضهم التعليمية وتوفير مستوى معيشي مناسب لهم. إنّهم يطالبون دوماً بمزيد من الإضطراب (بمعنى التعديل. المترجم) والتغيير التدريجي في المناهج التعليمية لتكون أكثر تلاؤماً مع متطلبات سوق العمل المستحدثة مع تعاظم دور الذكاء الإصطناعي والتقنيات الحديثة.

*** بن فلدافسكي: يقول العديد من أصحاب الأعمال أنّهم يفضلون الانتقال إلى التوظيف القائم على المهارات – Skills**

Based Hiring، ولكنك تقولين في كتابك أنّ هذا ليس بالأمر الحاصل في الواقع اليومي. ما الذي تعتقدين أنّه كفيلاً بجعل المهارات والمؤهلات البديلة أكثر قيمة من الشهادات العلمية في العالم الحقيقي؟

- كاتلين ديلاسكي: أظنّ أنّ اليأس هو الذي سيدفع أصحاب الأعمال لإعتماد هذه المقاربة في التوظيف. الطلب المتزايد يدفع للتغيير. رأيتُ أشخاصاً جرى توظيفهم وهم حاصلون على شهادات تدريبية أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وبدايات العقد الثاني من ذات القرن. حصل هذا في ميادين تقنية محدّدة، وسيحصل في المجالات التي لن يجد فيها أصحاب الأعمال عدداً كافياً من الأشخاص الحاصلين على شهادات جامعية. سنشهد حينها أنّ المتبنّين الأوائل لهذه المقاربة في التوظيف سيحققون توسعاً هائلاً بالمقارنة مع سواهم من المتردّدين في إعتماده.

أظنّنا بالغنا قليلاً في أرقام من نحتاج من الحاصلين على شهادات جامعية، وفي المقابل خسرنا أشخاصاً مبدعين آثروا عدم التسجيل في الكليات أو التسجيل في برامج جامعية أقصر زمناً من السنوات الأربع التقليدية. ما أريده وأتطلّع إليه هو أن نعتمد رؤية واقعية

وعملية تعمل على عدم إستبعاد مثل هؤلاء الأشخاص المبدعين
من أنظمة التوظيف تحت مسوّغات لم تُعدّ تتلاءم مع متطلّبات
عصرنا الحالي أو تقدّم للمجتمع فائدة حقيقية.

* بن فلداڤسكي Ben Wildavsky: زميل مشارك في مدرسة الخريجين التابعة
لقسم التعليم في جامعة هارفرد، وهو مؤلّف كتاب:

[The Career Arts: Making the Most of College, Credentials, and
Connections.](#)

- الموضوع أعلاه هو ترجمة لمعظم فقرات الحوار المنشور في موقع
Washington Monthly بتاريخ 25 شباط (فبراير) 2025. العنوان الأصلي
للموضوع باللغة الإنكليزية هو:

Who needs College Anymore?